الملحق الثقافي

ملحق أسبوعي يصدر كل ثلاثاء عن جريدة الثورة - العدد 1109 2022/8/30

ملف العدد

أدب الخيال العلمي ..جذور وآفاق

أول الكلام

أدب الرؤيا والاستشراف ..

▪ ديب علي حسن

ما الإنسان أي إنسان إذا لم يكن يملك الخيال ..وهل يوجد إنسان عاقل بلا خيال..؟. الخيال الذي يجمح بنا إلى آفاق لا أحد يعرف حدودها وربما نقول أحياناً إنه ضرب من الخيال ..

أدب الخيال العلمي ملفنا اليوم الذي نحاول من خلاله فتح نافذة نقاش حول دوره في الرؤيا والاستشراف ..والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كان الخيال العلمي وليداً حديث العهد ؟

بالتأكيد ليس ابن البارحة ولا ابن قرنين أو ثلاثة من الزمن بل ربما يمكن القول إنه وليد العقل البشري منذ أن وعى الإنسان ما حوله وعمل على تفسيره وكانت الإسطوره بما فيها من ثراء الدلالات البداية لهذا اللون من الخيال.

كل أسطورة هي وليدة الخيال وبالتالي تحمل في متنها وأحداثها تفاصيل عمل العقل على تفسيرها وكان خياله الجامح الأداة.

اليوم استوى الأمر ونضج وتطور وكبرت الشجرة حتى غدت بستاناً ..أدب الخيال العلمي يستشرف القادم يرسم خطوطاً عريضة ..صارت حقائق بل يمكن الحديث عن مئات الرؤى في هذا اللون وقد غدت واقعاً.

وفي تراثنا العربي الكثير من ألوان وبذور هذا الخيال، وقد نضجت، ويمكننا الحديث عن إعلام في هذا اللون من أمثال: نهاد شريف وطالب عمران ولينا كيلاني وغيرهم ممن يمضون على درب الإبداع الذي يعني أنه قفز خارج حدود الزمان والمكان ولكنه يوماً ما يصبح ابن زمانه ومكانه ولم يعد خيالاً ...

أدب الحاضر والمستقبل

يسبر الأعماق

أفلام من الخيال العلمي

التطور الرقمي والسرد الأدبي

رئيس التحرير
أحمد حمادة
مدير التحرير
معد عيسى
إشراف
ديب علي حسن
الإخـــراج
هدى نصر شمالي

توجه جميع الرسائل
باسم هيئة التحرير
D.hasan09@gmail.com
هاتف ٢١٩٣٢٢٢

جدارية

يصنع الإنسان الجمال ويضيف إليه بهاء على بهاء، والمبدعون هم الأقدر على ذلك، ومن المعروف أن السوريين عشاق الجمال أينما كانوا وحلوا، ولن يتركوا لمسة قبح وقعت إلا ويعملون على إزالتها ورسم الجمال مكانها في هذا المنحى.

بدأت مجموعة من المتطوعين من أبناء محافظة درعا ضمن مشروع «لحن» بدعم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي «يو ان دي بي» بالعمل على جدارية يبلغ طولها نحو ٤٥ متراً لتزيين الشارع المقابل لدوار الساعة وسط مدينة درعا والمؤدي إلى مواقع وأسواق حيوية عدة.

ولفت الفنان التشكيلي سعد شوقي في تصريح له إلى أن العمل الذي يشارك به نحو ٢٥ متطوعاً ومتطوعة من مختلف الشرائح الاجتماعية والعمرية يعتبر الأول من نوعه في مدينة درعا والمحافظة عموماً.

وأوضح أن العمل يضم كل ما يتعلق بتراث المحافظة المادي وتاريخها وحضارتها والحياة الاقتصادية فيها وخاصة الإنتاج الزراعي الذي تتميز به درعا.

ولفت شوقي إلى أن العمل مستوحى من المكون الثقافي في درعا ليكون جاذباً لأبناء المحافظة وأن العمل سيتكرر في أماكن أخرى وسيتم فرد مساحة خاصة للفن التشكيلي.

وأوضحت المهندسة إيسل محاميد المشرفة على النشاط أن تزيين بعض جدران المواقع الحيوية في درعا يندرج ضمن المشروع الأوسع وهو مشروع لحن الذي أطلقه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي والذي يهدف إلى تحقيق التماسك المجتمعي عبر جمع أكبر عدد ممكن من المشاركين في العمل ومن الجمهور على مختلف الشرائح العمرية.

وأشارت محاميد إلى أنه سبق إطلاق النشاط تحضيرات استمرت لمدة شهرين حيث تم إنشاء رابط لمن يرغب بالتطوع في هذا العمل على أن تتراوح أعمارهم بين ١٨ و ٤٥ عاماً وتقدم أعداد كبيرة من أبناء المحافظة للمشاركة في النشاط كما تم جمع مخلفات البيئة من مواد متنوعة بهدف إعادة تدويرها وإنتاج عمل فني يليق بالمحافظة.

ولفتت إلى أنه من الممكن أن ينتهي العمل بهذه الجدارية في غضون عشرة أيام ليتم الانتقال بعدها إلى جدارية أخرى في منطقة الكاشف عند مدرسة الشهيد اسماعيل أبو نبوت للتعليم الأساسي.

إصدار

من حسن حظنا ونحن نعد لهذا الملف عن أدب الخيال العلمي صدور كتاب جديد للدكتور طالب عمران في هذا اللون الأدبي الذي يعد ذروة في الرؤيا الاستشرافية وخدمة الإنسانية وقراءة التطورات التي يمكن قراءة خطوطها العريضة.. فقد صدر صدر حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب.

وضمن سلسلة «أدب الخيال العلمي» رواية (أنفاق الأزمنة – القسم الأول)، تأليف: د. طالب عمران.

لوحة الغلاف: ميسون سليمان.

– لم أستطع النوم يا خالة.. إنها أخطر رحلة في حياتي، اكتشاف شيء لا يمكن للإنسان أن يتوقع وجوده.

– ولماذا هذا القلق، أنشر الحكايات التي سمعتها عن المدينة ورأيت بعضها في رحلتك إلى السردايب المتشعبة.. ستكون أشبه بتحقيقات مثيرة، يتابعها الناس بشغف.

– ولكن لغز المدينة سيبقى دون حل؟

– هل ستستطيع أنت ورفيقك حل هذا اللغز الكبير؟ أمعقول أن تملك مثل هذه القدرة الهائلة؟ المدينة تلك ليست مدينة عادية، إنها مسكونة بأقوام لا نعرف عنهم شيئاً وهي تخفي أسرارها وتحافظ على هذه الأسرار من أعين الفضوليين.

رواية (أنفاق الأزمنة – القسم الأول)، تأليف: د. طالب عمران، تقع في ١١٩ صفحة من القطع المتوسط، صادرة حديثاً عن الهيئة العامة السورية للكتاب ٢٠٢٢.

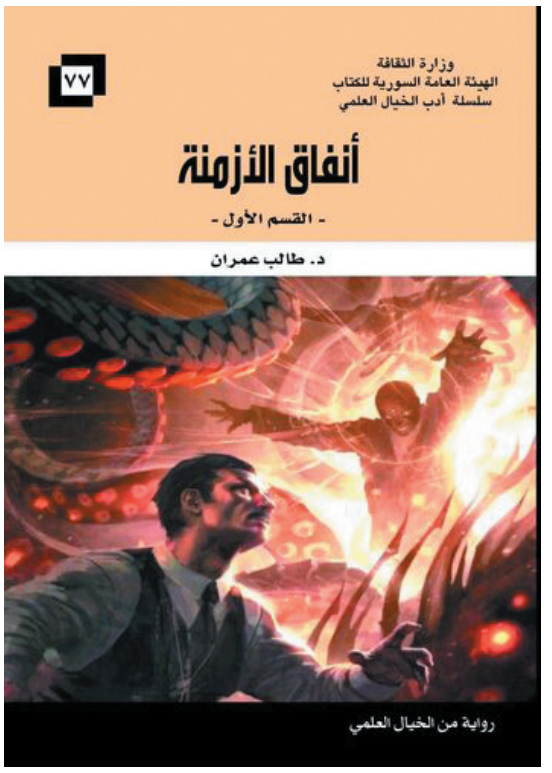

كتاب العدد

حسب الترتيب الهجائي

دلال ابراهيم
سلام الفاضل
سلمى جميل حداد
سلوى الحلو
علم عبد اللطيف
فوزي الشنيور
فؤاد مسعد
لينا كيلاني
لينا ديوب
مها محفوض محمد

أدب الحاضر والمستقبل

لينا كيلاني

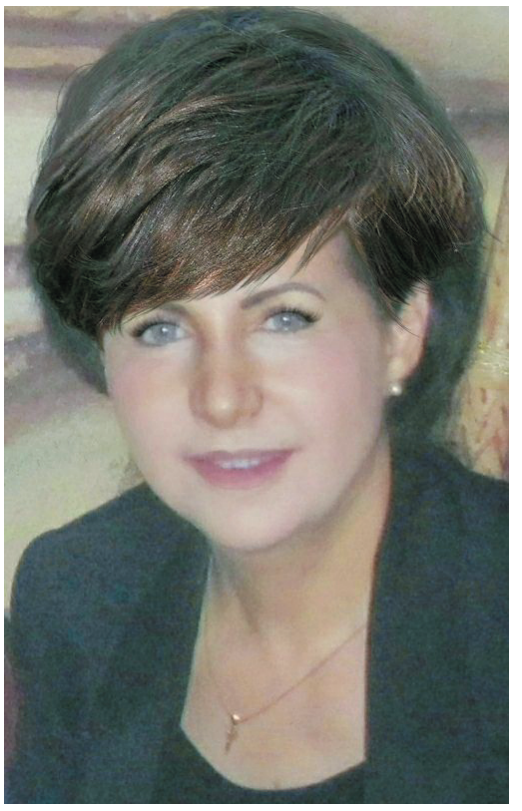

لأدب الخيال العلمي لدي أهمية خاصة، فأنا بعد أن انطلقت في بدايات مسيرتي الأدبية في مجال أدب الأطفال، حتى عُرفت من خلاله وكأنني كاتبة تخصصت في أدب الأطفال، كان لاختصاصي العلمي أثره الواضح في مؤلفاتي التي تجاوزت حتى الآن (١٦٥) مؤلفاً، إذ كان يسحبني دوماً باتجاه الفكرة العلمية لأطرحها من خلال القصة الموجهة للطفل، ولو كانت معلومة علمية ما مهما كانت بسيطة.. إلا أن هذا المسار دفعني فيما بعد لأن أتوجه بشكل جاد نحو أدب (الخيال العلمي) كجنس أدبي مستقل بذاته، فكان لدي امتداد للرواية، والقصة العلمية التي انطلقت منها.. حتى صدرت لي عدة روايات فيه كانت أولها (رواية المستقبل) التي صدرت في عدة طبعات، والتي لها السبق في كثير من منجزات علمية تحققت فيما بعد، ومازالت الرواية تحفل بما تضمه بين صفحاتها مما سيأتي به المستقبل قريباً من إنجازات علمية تتحقق على أرض الواقع.

ولو أردت أن أتحدث عن تجربتي في هذا المجال فلن أتحدث بأكثر من إشارات لما جاء في عدد ليس بقليل من رواياتي كان لها السبق التنبؤي لكثير مما أصبح واقعاً علمياً يقع تحت السمع، والبصر.. وأترك تقييم هذه الأعمال لمن يقرأ، ولمن ينقد.. إذ أن الخيال العلمي لا يمكن أن يُصنّف تحت هذا المسمى ما لم يأتِ بما يتحقق، أو يمكن له ذلك.

فرواية المستقبل هذه التي تتحدث عن هندسة الجينات للإنسان كما للنبات، والحيوان سبقت استنساخ النعجة (دوللي) وهي تتحدث عن منجزات كهذه، وغيرها كثير من الأمثلة التي أصبحت ماثلة أمامنا الآن في علم الطب، والبيولوجيا.

أما رواية (إجازة في المريخ)، أو (نداء الكوكب الأحمر)، وقد صدرت في عدة طبعات أيضاً، فقد تنبأت بهذه الانطلاقة التي تحققت مؤخراً نحو ذلك الكوكب الغامض، والغاضب بلونه الأحمر الذي يعلن عنه، حتى تمّت الإشارة إليها في الصحافة العربية كأول رواية عربية من الخيال العلمي يعيش من خلالها القارئ على سطح كوكب المريخ ليتعرف على أسراره، وقبل أن تنطلق المركبات الفضائية فعلياً باتجاهه.

ومن بعدها كانت رواية (سراب تحت الماء) الصادرة عن دار الهلال عام ١٩٩٧، والتي تخيلت فيها أن قصوراً زجاجية ستُبنى تحت مياه البحار، وهو ما أصبح يتحقق الآن في أبنية من زجاج تنبت من تحت الماء.

وإذا ما أتيت على ذكر رواية (الرأس المفتوح) والصادرة عن دار سفير عام ٢٠٠٨ فأقول عنها :إنها كانت عند صدورها غريبة فيما تطرحه عن المفاهيم والمعطيات العلمية السائدة آنذاك، أو ربما كانت مستهجنة وأنا أتخيل أجساداً بشرية مزروعة بالرقائق الإلكترونية، ورؤوساً مفتوحة لتستقبل شريحة ذكية يمكن لها أن تجعل من حاملها إنساناً متفوقاً لا يجاريه أحد.. وهذا مما أصبح مطروحاً الآن في مسارات العلم، وما تتيحه التكنولوجيا الحديثة.

أما رواية (من أنا؟ من أكون؟) والصادرة عن دار الهلال عام ١٩٩٨ فهي تتحدث عن الاستنساخ الحيوي، والذي لم يتحقق بشكل كامل حتى الآن إلا أنه قد يأتي في المستقبل كما يتنبأ به كاتب الخيال العلمي. ومثلها رواية (النبات الذي أصبح قاتلاً)، ورواية (الكهف المخبوء) والتي تغوص في أعماق الأرض في توازٍ مع رحلة في أعماق الفضاء.

أما آخر ما صدر لي من الخيال العلمي فكانت رواية (العمر الوضاء في جزيرة الفضاء) وما أظن إلا أن لها السبق العلمي لما يمكن أن يحققه البشر من حلول ذكية تبقي على الحياة البشرية إذا ما استُنفدت موارد الأرض الطبيعية بسبب التغيرات المناخية الكبيرة والجائرة بحق هذا الكوكب الأزرق الجميل.

فكما أن للعلم بريقه، وانتصاراته المبهرة فإن له إخفاقاته، وكوارثه المحتملة والمفجعة. وأغلب رواياتي تضع هذا مقابل ذاك لتكشف الوجه الآخر للعلم، وما يمكن أن يصل إليه إذا ما تجرد من الفلسفة، والضوابط الأخلاقية، والمعايير الإنسانية وهو يمضي في مساره المتصاعد نحو مزيد من الكشوفات، والاختراعات.. ولعل في الأسلحة الفتاكة التي يطورها العلم، وتستعملها شعوب ضد أخرى أكبر مثال على ما يجري في مدن هي للأذكياء مقابل مدن لا تفتقد الذكاء بل تفتقد المقدرة على مواجهة مَنْ يستخدم سلاح العلم ضدها.

إن الخيال العلمي الذي أكرّس له في أعمالي الأدبية، وتطبيقات العلم التي أرصدها بعيداً عن الخيال العلمي في روايات أخرى كروايتي (بذور الشيطان)، و(لودميلا).. إنما هي المدخل الى نسيج الرواية.. والفنية الروائية فيها تطغى على الأحداث الموجودة في كلّ منها.. فهي جميعاً روايات أدبية أولاً وقبل كلّ شيء، لها أبطالها، ومحاورها، ومفاجآتها، وعقدتها، وكلّ ما يميز الرواية ليس بمعناها الكلاسيكي، ولا بمعناها الحديث، وإنما بالمعنى الشمولي للرواية أي بخلق العالم الروائي الذي يحتوي كلّ هذه الكشوفات العلمية.

إنها روايات بشكل أساسي، وأنا تهمني هذه الناحية لأنني أكتب عملاً أدبياً تحت تصنيف الجنس الروائي لرواية (الخيال العلمي)، وبالتقنية الفنية، وبأدوات الرواية، والتي ربما كان فيها شيء من التجديد . وهذا ما يقدره النقّاد طبعاً . باعتباره أدباً عاماً محوره الأساسي نظريات العلم ضمن مقولات فلسفية وروحية.. ولا أستعرض معلومات علمية، أو أجنح نحو الفانتازيا لأن للخيال العلمي مقوماته، وشروطه التي لا يجوز بحال من الأحوال أن يحيد عنها.

إن اختصاصي العلمي أولاً، وميلي الجارف الى تتبع المنجزات العلمية، واندهاشي بالتطور السريع فيها ما جعلني أسير في هذا الاتجاه لأني وجدت فيه إضافة إلى مواكبة العصر، وأحياناً في سبقه ما يساعد على تقريب الإنسان العربي من أحداث عصره، وردم الفجوة التي سببها التخلف عن ركب الحضارة والعلم، وعدم الاهتمام بالمعاصرة.. فالفنان قادر على أن يتناول خيوطاً من وقائع عادية لينسج منها رداءً لمجتمع بأكمله.

إن الرؤية الخاصة بالأديب نحو حدث ما لا تقل أهمية عن الاختراع، والاكتشاف في العلم.. ومن هنا، وبعد اطلاعي على ما يقدّم من كتّاب معاصرين، أو من الحكايات الشعبية، والأساطير، وما شابه ذلك، عثرت على ما انتهجته في أعمالي الأدبية، وقد وجدت أن العلم يمكن أن يكون مرتعاً خصباً يكاد يفوق الخيال، والأساطير، فصممت على استثمر معلوماتي العلمية، وأن أمتلك هذه المفاتيح السحرية لأنقل قارئي الى عوالم ليست من الخيال وإن بدت كالخيال وأنا أربط بين العلم والأدب، و(أدب الخيال العلمي) الذي هو أدب المستقبل بفضاءاته الرحبة التي لا تحدها حدود يأخذني إليه بين وقت وآخر في رواية، أو قصة قصيرة.

أفلام الخيال العلمي قفزة نحو المستقبل..

فؤاد مسعد

الأطباق الطائرة، حرب النجوم، سكان الفضاء، مغامرات في عوالم الكواكب والمجرّات البعيدة، غزو الإنسان للفضاء، غزو الفضائيون للأرض، عابرو الزمن، الانتقال الافتراضي من مكان لآخر، الروبوتات، الذكاء الاصطناعي، عالم يحكمه الآليون، أسرار أعماق المحيطات، المتحولون، المُستنسخون، الزومبي، اللامرئيون، التخاطر، السحر، مصاصو الدماء، الفيروسات والأمصال، تجارب العلماء على البشر، اللعب في الجينات والهندسة الوراثية للإنسان، القوى الخارقة للطبيعة، الصراع بين الإنسان والرجل الآلي، اللعب في الزمن إما العودة به إلى الوراء أو السير به نحو المستقبل، السيطرة على العقل البشري، تحريك الأشياء بالنظر، الانتقال بسرعة الضوء، نهاية العالم، حيوانات وقردة تتكلم وتحارب، حيوانات عملاقة ما قبل التاريخ، حروب المستقبل مع الوحوش الغريبة .. والكثير الكثير من الموضوعات والأفكار الأخرى التي شكّلت في مجموعها الزاد الرئيسي والعمود الفقري لأفلام الخيال العلمي، التي باتت تتجاوز اليوم حدود التفكير التقليدي وتنقل المشاهد إلى عالم بعيد تماماً عن الواقع وفي العديد منها قد تعطي تصورات وملامح جادة عن المستقبل في محاولة للتفكير خارج الصندوق عبر أعمال يقدمها مخرجون يسعون ليكونوا سابقي عصرهم، معتمدين في أفلامهم على طرح فرضية مستحيلة الحدوث وخارج إطار المنطق العقلاني لكنها تتحول إلى واقع على الشاشة واقتراح مستقبلي قد يكون غير مستبعد الحدوث مع مرور الوقت، واللافت في هذه أفلام تماشيها مع التطور التقني واستخدام التكنولوجيا الأكثر حداثة مما يفتح المجال واسعاً لإنجاز خدع ومؤثرات تكون أكثر جذباً وتشويقاً وإبهاراً ما يزيد من جرعة الدهشة والإثارة.

غالباً ما تعتمد هذه الأفلام على أساس علمي يمكن الذهاب به بعيداً نحو أفق مختلفة فتتشكل حالة تعشيق بين العلم والسينما والإبداع، ولكن غير بعيد عن ذلك كثيراً ما تبث هذه الأفلام مفاهيم وأفكاراً يُراد تسريبها والسعي إلى انتشارها وتسويقها وتكريسها رويداً رويداً، وضمن هذا الإطار تشير جينا سلطان في كتابها (الحدود الإنسانية في سينما الخيال العلمي) إلى أن معظم أفلام الخيال العلمي هي من إنتاج هوليوود، مؤكدة اتسامها باتساع المفاهيم العلمية عن الكون والإنسان والبحث عن دور الإنسان في هذا الكون، وهل هو دور أساسي أم دور مكمل أم دور عبثي ليس له معنى أو قيمة تُذكر؟ .. وتقول في مكان آخر من الكتاب (تتيح أفلام الخيال العلمي حرية الإبحار في مجاهل العلاقة الملتبسة بين الإنسان والآلة، إذ تتجه إلى رؤى مستقبلية غير متوقعة، تفتح الآفاق أمام متوالية شائكة من الأسئلة الصعبة، تحرك الأفكار في فضاءات افتراضية جديدة، تستوحي سعة الكون الهائلة، ثم تلملم التفاصيل الكثيرة الصغيرة، المتشظية والمبعثرة، تعيد تجميعها في رؤية كلية شاملة، تستلهم إلغاز الصورة السينمائية، وإيحاءاتها التعبيرية العميقة الكامنة في ثناياها).

شغف التحليق في عوالم الخيال العلمي لم يتأخر عن نشوء السينما التي انطلقت مع الأخوين لوميير عام ١٨٩٥، فقد رافق بداياتها حتى أنه تم عام ١٩٠٢ في فرنسا إنتاج أول فيلم يندرج ضمن هذا الإطار (رحلة إلى القمر) إخراج جورج ميلييس وجاء صامتاً بالأبيض والأسود ومدته ١٤ دقيقة وهو مقتبس من عدة مصادر أهمها رواية (من الأرض للقمر) لجول فيرن، واستُخدمت فيه أساليب رسوم متحركة ومؤثرات خاصة مستحدثة ومن ضمنها صورة مشهورة لمركبة فضائية تهبط على عين القمر، وتدور أحداثه حول مجموعة علماء فلك يذهبون في رحلة استكشافية إلى القمر، هذا الأمر الذي ما لبث أن تحقق فعلاً عام ١٩٦٩ عبر أول رحلة مأهولة إلى القمر في التاريخ، وقد كرت السبحة بعد ذلك فقد استهوت هذه الأفلام العديد من المخرجين، وأكد الكاتب دينيس جيفورد مؤلف كتاب (فيلم التخيل العلمي) أنه حتى عام ١٩٧٠ تم إنتاج خمسمئة فيلم تخيل علمي.

من أشهر أفلام الخيال العلمي في مرحلة الستينيات فيلم (٢٠٠١: أوديسا فضائية) الذي كان ملهماً للعديد من المخرجين، وهو من إخراج ستانلي كوبريك عام ١٩٦٨ واستلهم جزءاً من أحداثه من القصة القصير (الحارس) لآرثر سي كلارك، واستمر العمل على الفيلم لمدة أربع سنوات وجاء نتيجة اهتمام المخرج بالحياة خارج الأرض وعلاقة الإنسان مع المكون ورغبته في إنجاز فيلم يُدهش المشاهدين .. أما في مرحلة السبعينيات فانطلقت سلسلة أفلام (حرب النجوم . Star Wars) ابتكار المخرج جورج لوكاس والتي بدأها بفيلم (أوبرا فضاء ملحمي) عام ١٩٧٧ ، وفي العام نفسه قدم المخرج جون هايس فيلم (نهاية العالم . End of the World) .. أما في مرحلة الثمانينيات فقدم المخرج جيميس كاميرون فيلم (المبيد . The Terminator) ١٩٨٤ الذي ساعد على إطلاق شهرته وأنجز جزءاً ثانياً له بعد ست سنوات، وتطور اهتمام كاميرون بأفلام الخيال العلمي التي أبحر فيها حتى قدم عام ٢٠٠٩ رائعته (أفاتار. Avatar) وقريباً سيطلق الجزء الثاني بعنوان (:Avatar The Way Of Water) معلناً عن أجزاء أخرى قادمة، ويعتبر جيمس كاميرون واحد من أهم مخرجي أفلام الخيال العلمي وسعى للتعامل مع التقنيات العصرية لتحقيق الإبهار البصري وهو من أوائل مخرجي هوليود الذين استخدموا الحاسوب في التصوير حتى أنه استفاد من دراسته لعلمي الفيزياء والفضاء فيما أنجز من أفلام.

ومن الأسماء الهامة أيضاً التي قدمت في هذا الحقل أفلاماً تركت أثرها عند الجمهور نذكر ريدلي سكوت ومن أفلامها (الغريب . Alien) ١٩٧٩ ، (بليد رينز . Blade Runner) ١٩٨٢ والفيلمان وضعهما معهد الفيلم الأميركي ضمن قائمته لأفضل ١٠ أفلام في سينما الخيال العلمي عام ٢٠٠٨ ، وقد غلب على أفلام سكوت موضوع الفضاء ومن أفلامه ضمن هذا الإطار (بروميثيوس . Prometheus) ٢٠١٢ (المريخي . The Martian) ٢٠١٥ ، (فضائي كوفينانت . Alien Covenant) ٢٠١٧ ، أما المخرج جون كاربنتر فقدم (الهروب من نيويورك) ١٩٨١ و(ستارمان) ١٩٨٤، وقدم المخرج الروسي أندريه تاركوفسكي فيلم (مطاردة) ١٩٧٩ وفيلم (سولاريس) ١٩٧٢ ، وأنجز المخرج الفرنسي فيلم (العنصر الخام) عام ١٩٩٧ ، في حين أنجز المخرج رولاند إيميريك كل من فيلم (يوم الاستقلال . Independence Day) ١٩٩٦ و (سقوط القمر . Moonfall) ٢٠٢٢ ، وقدم المخرج دينيس فيلنوف (Blade Runner ٢٠٤٩) عام ٢٠١٧ و (كثيب. Dune) ٢٠٢١ .

يضاف إلى ذلك كله أفلام الأبطال الخارقين التي قد يختلط فيها أحياناً الخيال العلمي مع الفانتازيا رغم أن لكل منهما شرطه الفني ، كما هو حال أفلام سوبرمان والوطواط والرجل العنكبوت والتي يقول عنها الكاتب المصري محمود قاسم في كتابه (سينما الخيال العلمي علم زاده الخيال) : "رغم أنها شخصيات تسبح في عالم فانتازي إلا أنها مرتبطة بالتخيل العلمي في المقام الأول، وأغلب هذه الشخصيات قادمة من الفضاء وترتبط بالأرض بين فترة وأخرى وهي شخصيات خارقة السمات تمتلك العديد من أسباب البطولة، قوية العضلات، تطير في السماء كما الطيور تسبق الطائرات والسفن وهي أغلبها فانتازية التركيب ولكنها ذات علاقة بأجواء التخيل العلمي، فهي وليدة العلوم مثل سوبرمان القادم من كوكب كريبتون الأكثر تقدماً علمياً" .

رواية رعب أم خيال علمي...؟

مها محفوض محمد

هي الرواية والأسطورة ولكنها الخيال العلمي كما يقول النقاد والمتابعون الذين يرون أن جذور الخيال العلمي هو الأسطورة ولكن ليست أي أسطورة فماهي الروايات التي اسست لهذا الخيال ، وما اشهرها ؟

نتعرف اليوم على رواية نالت اهتماماً كبيراً ومازالت تثير الجدل بين النقاد والمتابعين.

إنها أسطورة فرانكشتاين برومسيوس المعاصر، رواية من أشهر روايات الرعب في الأدب البريطاني.

بعد مرور مئتي عام على ولادة تلك الأسطورة ها هي تعود إلى الأضواء من خلال رواية حديثة حطت في واجهات المكتبات عنوانها (دفاتر فيكتور فرانكشتاين).

الرواية الحدث للكاتب البريطاني بيتر آكرويد وهو الأديب الذي نشر عشرات الروايات التاريخية والسير الذاتية عن أوسكار وايلد وميلتون، عزرا باوند، ت.س اليوت، ادغار آلن بو، تشارلز ديكنز، شكسبير الخ..

ولاتزال الأسئلة التي تثيرها فلسفة هذا البرومسيوس تنبض بالحياة إلى اليوم، إذ تكفي قراءة رواية آكرويد الذي أعاد فرانكشتاين إلى البيئة الثقافية التي ولدت فيها تلك الشخصية.

البطل فيكتور فرانكشتاين طالب مثالي يصل من سويسرا موطنه الأم إلى اكسفورد ويلتقي شاباً يصبح فيما بعد الشاعر الانكليزي الكبير شيلي، لكن ميري شيلي (١٧٩٧-١٨٥١) زوجة الشاعر الثانية هي من ابتدعت تلك الشخصية خلال ليلة عاصفة في سويسرا، وذلك عندما تحدى فيها الشاعر لورد بايرون صديق شيلي الحضور حيث طلب منهم أن يبتدعوا قصة عن الأشباح واليوم يتحدث بيتر آكرويد أستاذ فن تاريخ الأدب عن تلك الليلة الأسطورية متخيلاً فرانكشتاين الوحش جالسا بلحمه وشحمه في تلك الأمسية.

ويتمكن آكرويد من إحياء الفكر الرومانسي الذي كان يؤجج مشاعر المثقفين البريطانيين مطلع القرن التاسع عشر يومها تصورت تلك الشريحة وفي طليعتها الشعراء أن قدرة العقل الإنساني لا حدود لها وانطلقت قناعتهم من نظرية تقول: إن الإنسان هو من يخلق العالم الذي يعيش فيه ويستوحي من عالمه هذه الابتكارات العلمية والمعارك السياسية وكانت هواجس هؤلاء الشعراء مشحونة بعالم ما وراء الطبيعة.

ويعهد آكرويد إلى البطل فرانكشتاين برواية مغامراته على شكل اعترافات يكتبها هذا الوحش وعن حماسته وطموحه لأن يكون محسناً إلى الإنسانية لكن ذلك يقوده إلى الضياع ومن الرغبة في المجد والشهرة سرعان ما يسقط في الظلمات لينهش به الهم والقلق وظلام مخيف يقوده إلى الضياع رغماً عنه.

لقد استأثرت هذه القصة باهتمام النقاد وأعطوها تفسيرات عديدة: فلسفية وتيولوجية (فقه الأديان) ونفسية.

لأن رواية الذعر هذه التي ابتدعتها ميري حول فرانكشتاين الذي يستنسخ إنساناً من لحم ودم من أعضاء جمعها من الجثث في المقابر ليست سوى وحش قوي تتنازعه غريزة حيوانية تنقصه تلك الومضة الإلهية.

ويشعر هذا الوحش بالحاجة إلى الحب وليس فقط إلى العواطف بل إلى الجنس رغم أن الجميع يتجنبه لأن قدرته تنحصر فقط في أفعال الشر والإساءة إلى الآخرين، ألم ينجح في الانتقام وقتل صديق فيكتور وشقيقه وزوجة هذا الأخير؟

لكن الوحش سرعان ما يلجأ إلى القطب ثم يختفي في نهاية الرواية.

تعتبر رائعة ميري شيلي من أهم الأعمال الروائية في مطلع القرن التاسع عشر كما هي الآن في القرن الحادي والعشرين.

وقد اقتبس الفن السابع هذا العمل مرات عديدة منذ عام ١٩٣١ عندما كانت السينما صامتة.

وهاهي اليوم تستعد لإعادة إخراج نسخة جديدة لفرانكشتاين انطلاقاً من رواية آكرويد.

المهم أن أحد إسقاطات الرواية موضوع الاستنساخ.

أليست الرواية الخيالية هي من دفع العلماء لتجربة الاستنساخ؟

وتر الكلام

كما نحب ونشتهي...!

سعاد زاهر

في لحظة يبدو الواقع ينقصه شيء ما، وخاصة حين نعتاده ويجرنا إلى روتين ما، نفقد معه أي بهجة ترافق الاكتشافات الأولى، ومع الاعتياد تصبح أرواحنا خاوية تحتاج إلى لحظة مبتكرة تحيي الحياة فيها مجدداً.

قد تعيش ظروفاً، تقيدك كلما تمردت على واقعيتك، كأنها حبل أزلي يربط قدميك ويعيق سيرك إلى ما تشتهي، كلما حاولت فك قيد احتباسك، اختنقت بالحبل.

لابد من فترة راحة تبعدك عن عراك مضن...!

هل من سبيل...؟

هنا تكثر الاقتباسات التي تحكي عن الخيال، وكيف يمكنه أن يسحبك إلى أقاصي الكون، دون أن تبارح مكانك، ولكن حين تذهب هل بإمكانك العودة بيسر الى الواقع، الذي تهرب منه أساساً؟

وما بين الواقع والخيال صاغ الكتاب ما سمي الواقعية السحرية اقتنصوا روح الأشياء الذي يجعلها تنبض دون اضطرارهم لتبرير خيالاتهم اللانهائية كما فعل «جابرييل غارثيا ماركيز، وخوان رولف، وخورخي لويس بورخيس، وميجيل انخل استورياس، وخوليو كوتاثار...»

تشعر بهم يجسدون قول ألبرت أينشتاين «الخيال أهم من المعرفة، فالمعرفة محدودة بما نعرفه الآن وما نفهمه.. بينما الخيال يحتوي العالم كله وكل ما سيتم معرفته أو فهمه إلى الأبد...»

لم يضطر الكتاب والشعراء إلى عقد مقارنات بين الخيال والمعرفة، هم اشتغلوا على الأولى بلا هوادة والأمثلة لا تحصى «شكسبير في الليدي ماكبث، آنا كارنينا بطلة رواية تولستوي، سكارلت بطلة رواية مارغريت ميتشل ذهب مع الريح...» مجرد أمثلة محدودة، ندخل بها إلى عالم الخيال بميادينه اللانهائية، يحيك الكتاب شخصياتهم الايقونية وصولاً إلى الأحداث والحبكات ما إن ندخلها حتى ننتقل إلى ذائقة متفردة، يقترن فيها الخيال بالابتكار، وينقل أبطاله إلى خلود أدبي وفكري لا يضاهيه أي واقع حتى لو علا شأنه.

كل من يعبر إلى الخيال ليصوغه كما يشتهي، تشتاق خلايا روحه باستمرار إلى مذاقاته، ليعيش ضمن دوائر ملونة، حدودها الواقع بمعارفه وقوانينه، ولكن شطحات الخيال هي الملهم، هي التي تسرع بك نحو جزر حين تزورها ستدرك أنها ليست المرة الأخيرة، بل مجرد خطوة نحو جزر تنتقل بينها بيسر وسهولة كما رغبت وسعيت يوماً....

جذوره في الأسطورة

علم عبد اللطيف

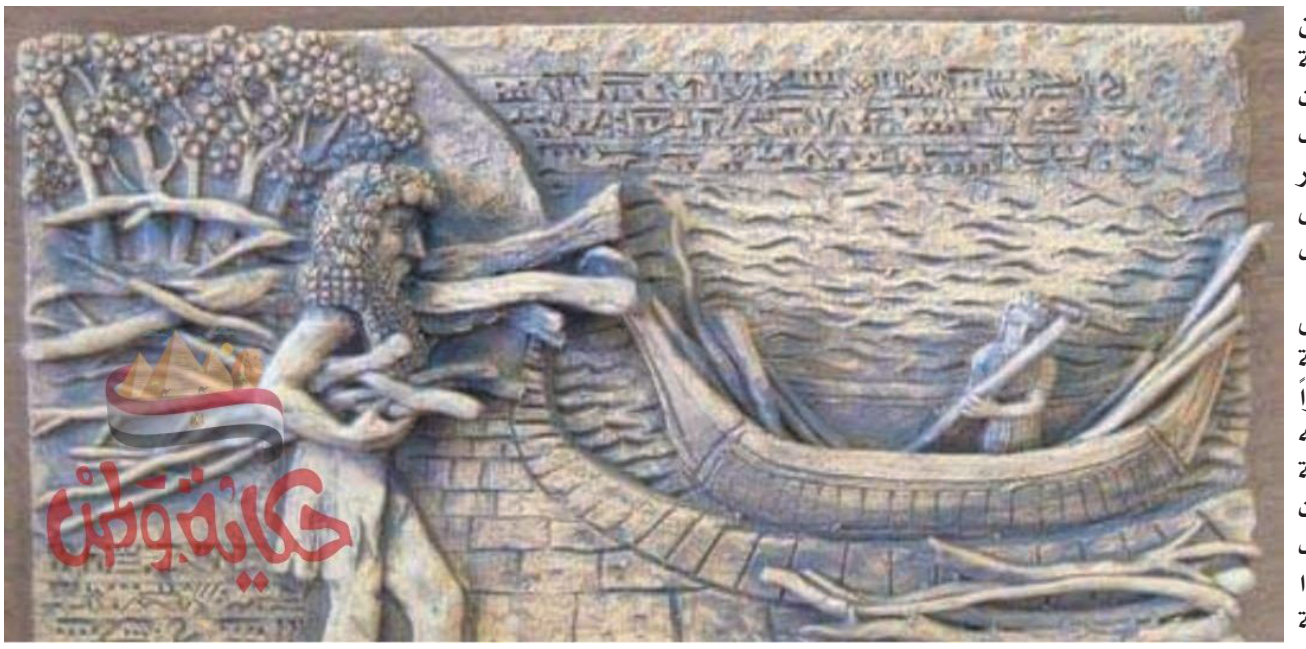

أحد أقدم النصوص وأشهرها بين الباحثين عن النماذج المبكرة لأدب الخيال العلمي هي ملحمة جلجامش في بلاد ما بين النهرين، التي ظهرت لأول مرة نحو عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. أيد مؤلف الخيال العلمي الأميركي ليستير دل ري اعتبار ملحمة جلجامش نقطة انطلاق، على أساس أن الخيال العلمي أقدم بكثير من الخيال الأول المسجل.

الخيال العلمي هو نوع من الفن الأدبى الذى يعتمد على الخيال، ويعرف باللغه الانجليزية بمصطلح science fiction ويشار إليه اختصاراً . وفي قاموس المعاني يعرف الخيال العلمي بأنه (نوع أدبي أو سينمائي تكون فيه القصه الخيالية مبنيه على الاكتشافات العلمية التأملية والتغيرات البيئية وارتياد الفضاء والحياه على الكواكب الأخرى)، حيث يخلق المؤلف عالماً خيالياً أو كوناً ذا طبيعة جديدة بالاستعانة بتقنيات أدبية متضمنة فرضيات أو استخدام لنظريات علميه فيزيائية أو بيولوجية أو تقنية أو حتى فلسفيه.

ومن الممكن أن يتخيل المؤلف نتائج هذه الظواهر أو النظريات محاولاً اكتشاف ما ستؤول إليه الحياة ومتطرقاً لمواضيع فلسفية أحياناً.

أهم ما يميز أدب الخيال العلمي أنه يحاول أن يبقى متسقاً مع النظريات العلمية والقوانين الطبيعية دون الاستعانة بقوى سحرية او غير طبيعية، غالباً مايكون الإطار الزمنى لرواية الخيال العلمى في المستقبل القريب أو البعيد ، أما الإطار المكاني فقد يكون على سطح الأرض أو على أحد الكواكب السيارة أو في أي بقعة من الكون.

ومن الممكن أن نجد قصص الخيال العلمي في الكتب والمجلات والأفلام والمسلسلات، كما يمكن أن نجده في الأعمال الفنية مثل الرسم والنحت والألعاب المسرحية وغيرها من وسائل الإعلام المختلفة.

-محتوى ومضمون قصص الخيال العلمى

تكون القصة فى إطار زماني مختلف فى المستقبل ، أو في عصر زمني بديل كأن يكون في ماض تاريخي يتناقض مع الحقائق المعروفة في التاريخ .

قد يكون أيضاً فى إطار مكاني مختلف مثل الفضاء الخارجي، أو في عوالم أخرى، أو في باطن الأرض .

تحتوي على شخصيات خيالية مثل غرباء من الفضاء، أو المسوخ ، والروبوتات .

تحتوي على تكنولوجيا مستقبلية مثل مدافع الليزر، الانتقال الآنى (من مكان إلى آخر دون عبور الحيز المادي بينهما) وأجهزة الحاسوب الآلية .

تتضمن مبادىء علمية جديدة أو قوانين تتعارض مع القوانين المعروفة سابقاً مثل التنقل أو السفر عبر الزمن ، والانتقال بسرعة أسرع من الضوء وغيرها .

تشتمل القصص على نظم سياسية أو اجتماعية جديدة ومختلفة مثل قصة نهاية العالم .

تحكي عن قدرات خارقة مثل السيطرة على العقل ، والتحكم بالأشياء عن بعد مثل التحريك العقلي والوجود في مكانين مختلفين فى نفس الوقت .

وجود أكوان وأبعاد مكانية أخرى وإمكانية السفر بينهما .

تعود «جذور» قصص الخيال العلمي إلى علم الأساطير أو الميثولوجيا ، ونجد بوادر ظهور الخيال العلمي عند الكاتب لوقيان السميساطي في مؤلفه قصص حقيقية فى القرن الثانى للميلاد ، وكذلك في بعض حكايات ألف ليلة وليلة ،في الف ليلة وليلة.نصادف بعض ملامح الخيال العلمي في بعض الحكايات. ويتم الحديث عن بساط الريح..الذي اعتبره الجميع.تبشيراً بالطائرة. لكن طاقية الإخفاء في ألف ليلة وليلة..وإن تم الحديث عن محاولات لإخراجها إلى الواقع..فانها لن تنجح بسبب عدم اتصالها مباشرة بمستقبل البشرية ونفعها. وبقية ماذكر في الليالي.وغيرها من القصص الشعبية.كسيف بن ذي يزن..وغيرها. عن العفاريت والجن..وطائر الرخ..فانها فانتازيا بدائية لا تنتمي إلى الخيال العلمي.لعدم إمكانية تحققها في أي وقت أو إثبات انتمائها للواقع.

خلافاً لبعض كتابات ابن النفيس فى القرن الثالث عشر للميلاد . التي اعتبرت استشرافاً لما يمكن تحقيقه مستقبلاً.

وتعتبر رحلات غليفر المنشورة عام (١٧٢٦) للكاتب الإنجليزي جوثان سويفت واحدة من أوائل أعمال أدب الخيال العلمى ، بجانب قصة ميكروميجاس (١٧٥٢) للكاتب والفيلسوف الفرنسي فولتير ، وقصة صومنيوم التى كتبها يوهانس كيبلر بين عامي (١٦٣٠-١٦٢٠) واعتبر كلا من إسحاق أزيموف وكارل ساغان هذه القصة كأول قصة خيال علمى ، وهي تصور رحلة إلى القمر وكيفية مشاهدة حركة الأرض من هناك .

وبعد تطور الرواية في القرن الثامن عشر كشكل أدبى ، ظهرت كتابات ماري شيلي في أوائل القرن التاسع عشر مثل فرانكنشتاين والرجل الأخير والتى ساعدت على تحديد شكل رواية الخيال العلمى، وفي وقت لاحق كتب إدغار (آلان بو) قصة عن رحلة إلى القمر.

يختلف الخيال العلمي عن الفنتازيا في أن عناصره الخيالية تكون ممكنة الحدوث بشكل كبير في إطار قوانين الطبيعة المسلم بها أو المقررة علمياً. وتعد دراسة النتائج المترتبة على مثل هذه الاختلافات هي الهدف الأساسي للخيال العلمي، مما يجعله يصنف ضمن «أدب الأفكار» وقد تشمل هذه السياقات:السياق المستقبلي، في إطار الخطوط الزمنية البديلة أو في التاريخ الماضي الذي يناقض الحقائق التاريخية المعروفة أو سجل الأحداث التاريخية

سياق الفضاء الخارجي الذي يتناول العوالم الأخرى أو يضم شخصيات غريبة ومخالفة للواقع

قصص تتناول الأساليب التكنولوجية أو المبادئ العلمية التي تناقض قوانين الطبيعة المتعارف عليها

قصص تتناول اكتشاف أو تطبيق مبادئ علمية جديدة، مثل السفر عبر الزمن أو علم «البسيونيك» (أحد فروع العلم التي تعتمد على دراسة بعض الظواهر النفسية مثل التخاطر) أو تعرض لتكنولوجية جديدة - مثل النانوتكنولوجي أو السفر بسرعة تفوق سرعة الضوء أو الروبوتات (روبوت) - أو تعرض لنظم سياسية أو اجتماعية جديدة مغايرة للنظم الواقعية السائدة (مثل فكرة المدينة الفاسدة أو مجتمع انهارت فيه النظم).

من الصعب وضع تعريف محدد للخيال العلمي، نظراً لأنه يضم عدداً هائلاً من الموضوعات والأجناس الأدبية الفرعية. وقد لخص الكاتب والمحرر ديمون نايت هذه الصعوبة بقوله: «إن الخيال العلمي هو ما نهدف إليه ونفكر فيه عندما نذكر هذا المصطلح.ووفقاً لرأي مؤلف قصص الخيال العلمي روبرت هينلين، فإنه «قد يتمثل التعريف المختصر المناسب للخيال العلمي فيما يلي:وقدنجد تصوراً واقعياً لأحداث مستقبلية محتملة الحدوث.

طالب عمران ...أدب يسبر الأعماق

سلام الفاضل

لم يكن أدب الخيال العلمي في يوم من الأيام إلا جنساً أدبياً يمور بالغرائب والعجائب والأشياء فوق الواقعية التي تستشرف في أحيان مستقبلاً لم يأت بعد، أو تلج عمق غوامض وقف العلم عاجزاً عن تفسيرها، فتفند عبر سطور روائية أو قصصية نظريات علمية طالت هذه الظاهرة، أو تلك.. ولعل مثلث برمودا، وسكان العوالم الأخرى، وغوامض بواطن الأرض من الأشياء التي ألهبت خيال روائيي أدب الخيال العلمي فكتبوا عنها الكثير، وألّفوا في غوامضها كتباً حيكت حبكتها واستندت على ما يموج في صلب هذه الظواهر من رؤى مدهشة، وحالات غرائبية لم يقوَ العلم بعد على إعطاء تفسير جامع مانع لها، أو عجز العقل البشري عن إدراك كنهها.. وقد عُرّف أدب الخيال العلمي استناداً إلى ما سبق، بأنه نوع أدبيّ، أو سينمائيّ تكون فيه القصّة الخياليّة مبنيّة على الاكتشافات العلميّة التأمليّة والتغيّرات البيئيّة وارتياد الفضاء، والحياة على الكواكب الأخرى، حيث يخلق المؤلف عالماً خيالياً، أو كوناً ذا طبيعة جديدة بالاستعانة بتقنيات أدبية متضمنة فرضيات، أو استخدام نظريات علمية فيزيائية، أو بيولوجية، أو تقنية، أو حتى فلسفية.. ومن الممكن أن يتخيل المؤلف نتائج هذه الظواهر أو النظريات محاولاً اكتشاف ما ستؤول إليه الحياة، ومتطرقاً لمواضيع فلسفية أحياناً.. وقد تتناول موضوع القيم في عالم جديد مختلف، ولكن ما يميز هذا النوع من الأدب أنه يحاول أن يبقى متسقاً مع النظريات العلمية والقوانين الطبيعية دون الاستعانة بقوى سحرية، أو غير طبيعية مما يميزه عن الفانتازيا، وغالباً ما يكون الإطار الزماني لرواية الخيال العلمي في المستقبل القريب أو البعيد.. أمّا الإطار المكاني لها فقد يكون على سطح الأرض، أو على سطح إحدى الكواكب السيّارة، أو في أي بقعة من الكون، أو حتى في أماكن خيالية كالأبعاد المتوازية، وسوى ذلك.. وتعتبر قصة رحلات غوليفر المنشورة في عام (١٧٢٦) للكاتب الإنكليزي جوناثان سويفت واحدة من أوائل أعمال أدب الخيال العلمي، بجانب قصة ميكروميجاس (١٧٥٢) للكاتب والفيلسوف الفرنسي فولتير، وقصة صومنيوم التي كتبها يوهانس كيبلر بين عامي (١٦٢٠ - ١٦٣٠).. وفي سورية اشتهر كثير من الروائيين الذين خاضوا مجال هذا الصنف الأدبي، وكتبوا فيه.

ريادة

ولعل أكثرهم شهرة الدكتور طالب عمران الذي يعد أحد روّاد هذا الأدب، ومن المخلصين له. ولد د. طالب عمران في مدينة طرطوس عام ١٩٤٨، ودرس الهندسة المدنية في جامعة دمشق، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الهندسة التفاضلية والفلك من جامعة عليكرة - الهند، وله في أدب الخيال العلمي كثير من المؤلفات التي تصل إلى أكثر من ١١٠ مُؤلّف، إضافة إلى العديد من البرامج الإذاعية والتلفزيونية التي تختص بهذا المجال، ومنها برنامج (ظواهر مدهشة).. ويرى عمران في الحوار الذي أجراه مع صحيفة (العرب) بأن الخيال العلمي: «هو الانتقال عبر آفاق الزمن على أجنحة الحلم المطعم بالمكتسبات العلمية وغالباً ما يطرق كتّابه أبواب المستقبل بتنبؤاتهم دون زمن محدد، فهو نظرة واسعة إلى العالم يدخل فيها العلم فيخرج بحقائقه مع خيال الكاتب ليرسم أحداثاً تنقلك إلى المستقبل، أو الماضي السحيق فتثيرك وتذهلك.. والرابطة بين العلم والخيال رابطة مؤطرة متماسكة، ومن يكتب في هذا النوع من الأدب لن ينجح دون ثقافة علمية ممتازة، يستخدمها في نسج أحداث قصصه ورواياته». ويردف، في الحوار ذاته، مبيّناً رأيه في هذا الصنف الأدبي الذي اختلفت الآراء حوله، والذي يندرج تحت مسمى (أدب الخيال العلمي)، بالقول: «اختلفت الآراء حول أدب الخيال العلمي؛ البعض وصف القصة العلمية بأنها تترجم المكتشفات والاختراعات والتطورات التقنية التي ظهرت، أو التي يمكن أن تظهر في المستقبل، إلى مشاكل إنسانية ومغامرات درامية.. وبعضهم وصف الخيال العلمي بأنه اصطلاح يطلق على ذلك النوع من الأدب الروائي الذي يعالج بكيفية خيالية مدروسة استجابة الإنسان لكافة ما يحيطه من تقدم علمي وتطور، سواءً في المستقبل القريب أو البعيد.. وبعضهم الآخر وصف القصة العلمية بأنها ليست مجرد مغامرات مثيرة تعالج الفضاء وعوالمه القصصية، أو الوحوش جاحظة العيون، أو الأكوان السحرية، أو رؤى المستقبل ومفاجآته، فبالإضافة إلى ذلك كله تتمتع القصة العلمية بميزة تتعلق بالأفكار والتساؤلات حول ما يحيط بنا من ألغاز لنعرف شيئاً عن تفسيرها».. ويختتم عمران إجابته في السياق ذاته قائلاً: «إذاً أدب الخيال العلمي هو أدب المستقبل، يحلم باللحظة التي ينتصر فيها الإنسان على عوامل ضعفه في الكون المحيط به، يحلم بالانتصار على الشيخوخة والمرض والتعب ويكتشف الأعماق المجهولة في المحيطات ويلتقي مع كائنات العوالم الأخرى، ويهبط على الكواكب البعيدة، ويحذر الإنسان من الانجراف نحو عدم الاكتراث بسلبيات استخدام العلم لمنفعته الذاتية، وما تخلقه تلك السلبيات من دمار لحضارته الحديثة، كالتلوث بكافة أشكاله والنفايات والاحتراق الصناعي وطبقة الأوزون المخربة وتكديس السلاح المدمر... إنه يحاول أن يفسر حياة الإنسان والألغاز المحيطة به، ويقدم حلولاً لمشاكله المستعصية، وهذا أدب الخيال العلمي الجاد، وهذا ما أحاول التعبير عنه في كتاباتي». إذا وفي ختام ما قيل يمكن أن ندرك أن أدب الخيال العلمي ما هو إلا أدب قد يصنع لقارئه رؤى استشرافية تستحث خياله ليلج عوالم المستقبل، أو يغوص في عمق ظواهر ماضية ليبحث في غوامضها، ويعبر إلى كنهها مفسراً ألغازاً حياتية، وإنسانية، ومقدماً الحلول لإشكالات قد تبدو مستعصية.

زاوية حادة..

الأسطورة والخيال..

غسان شمه

عام ٢٠٠٩ شهدت دور العرض السينمائية في أميركا فيلماً بعنوان «٢٠١٢» يتحدث عن نهاية العالم وفق حسابات أسطورية تعود لشعب المايا، وهو قبائل هندية تعيش في هندوراس وغواتيمالا والسلفادور، وتميز قديماً بحضارة وصلت أوجها في القرن الثالث الميلادي..

يمتلك هذا الشعب أسطورة متداولة حول نهاية العالم، والتي حددها في ٢١ كانون الأول عام ٢٠١٢، وكانت تلك الجسر الذي بنى عليه صناع الفيلم حكايته الخيالية التي جمعت بين الأسطورة والخيال، فالعالم الذي ينتظر نهايته وفق الأسطورة، يتعرض لكوارث تفرض على علماء أميركا، التي تقدم نفسها كمنقذ يمتلك إمكانيات لا تتوافر لغيرهم..

وهنا تبدأ حكاية أخرى يتواصل فيها الخيال في بناء مفرداته السينمائية، فتلك السفن الكبيرة قادرة على استيعاب عدد كبير من الناس، وهنا ندخل انعطافة مهمة على الصعيد الفكري، فعملية الإنقاذ هذه تعتمد معياراً أساسياً هو مقدرة الفرد على دفع أموال طائلة من حجز مكان له ولأسرته على متن هذه السفن التي توفر ما يحتاجه أولئك الأثرياء لفترة طويلة حيث من المنتظر أن تبدأ الأرض عهداً جديداً من الحياة..

بين الأسطورة والخيال العلمي، والحال الكوارثي لكوكب الأرض، ينتقد الفيلم وبشدة واقع المجتمع الرأسمالي والاستهلاكي الذي لا يلتفت للفقراء والضعفاء، فالحياة فعلياً في هذه المجتمعات ستكون متاحة لمن يمتلك القوة المادية..

ثمة ما يربط الخيال العلمي، قديماً وحديثاً، بمفردات تنتمي للواقع بصورة ما، وتكون نقطة انطلاق نحو عوالم تبني مفرداتها على أجنحة العقل البشري الذي يجد في الخيال العلمي، وغير العلمي، مساحات واسعة لرؤية ذات طابع مستقبلي في ظل صراع الإنسان مع الوجود كعامل محرض لهذا الخيال..

روايات الخيال العلمي... مخاوف أو تنبؤات؟

دلال ابراهيم

نشرت مجلة إسكوير الأميركية هذا العام قائمة بأفضل خمسين رواية خيال علمي، وجاءت رواية فرانكشتاين للكاتبة البريطانية ماري شيلي في رأس القائمة، الرواية الصادرة في عام ١٨١٨. ويُروى عن نشأة الرواية « أن الكاتبة شيلي وفي أحد الأمسيات التي حضرتها برفقة بعض الأصدقاء وكان منهم لورد بايرون، أخذ الحضور يتحدثون عن تجربة كان أجراها العالم لويجي جلفاني باستخدام الكهرباء على عدد من الضفادع الميتة، وأسفرت تلك التجارب عن ظهور تشنجات في عضلات تلك الضفادع. واكتسبت تلك التجارب شعبية على مستوى القارة الأوروبية، وكانوا مبهورين بها. وفي وسط الحديث أشار بعضهم لإمكانية استخدام الكهرباء في إعادة إحياء الموتى. وأضاء ذلك النقاش برقاً في عقل شيلي وأخذها إلى فكرة روايتها التي أصبحت فيما بعد تحمل اسم (فرانكشتاين) وبعد هذه الأمسية طلب لورد بايرون من جماعة الأدباء الحاضرين كتابة قصة مرعبة. ومن هذا التحدي كانت بذرة الرواية.» بينما تروي شيلي عن رؤية كابوسية راودتها عقب هذه الأمسية حيث رأت « طالب شاحب يركع إلى جانب الأجزاء التي جمعها وشبح الشخص الذي يعود إلى الحياة» هذه الرؤية هي ما حولتها فيما بعد إلى روايتها الأشهر. وترجمت شيلي في الرواية مخاوفها من التجربة التي دوى صداها في أرجاء أوروبا. وعلى الرغم من أنه يمكن النظر لرواية (ماري شيلي) (فرانكشتاين) بأنها تتنبأ بطغيان العلم وربما إشارة لما سيعرف مستقبلاً بزراعة الأعضاء. إلا أن شيلي في الحقيقة كانت تكتب عن مخاوفها لا نبوءة تراها قادمة. فحين كتبت ماري شيلي روايتها الشهيرة كانت تبث مخاوفها من التقدم العلمي الجارف الذي أخذ بالحياة اليومية في وقتها، وكان فرانكشتاين صافرة إنذار ضد التوغل العلمي الفاقد لأي سباق أخلاقي. ومن نظرة دينية للعصر ما قبل الفيكتوري تعد فكرة تحدي عالِم للإله في صنع إنسان حي فكرة صادمة.

وفي خوف آخر من العلوم والتكنولوجيا التي لا تعرف سقفًا أو حد كتب الروائي الروسي (يافجيني زامياتين) روايته (نحن-We) في أعقاب الثورة البلشفية. ويصور الأديب في قصته عالماً كابوسياً حيث يُرَقْم فيه النساء والرجال، ويعيش شخوصه في بيوت زجاجية تمكن الحكومة من مراقبة جميع تحركاتهم. وحملت الرواية نبوءة مفزعة عن إمكانية استخدام التطور التكنولوجي ضد البشر. وكانت مخاوف الكاتب من التكنولوجيا هي محركه الرئيسي لكتابة (نحن) والتي كانت مصدراً هامًا لإلهام جوروج أورويل في كتابه (١٩٨٤) .

وقد تحمل روايات الخيال العلمي طابعاً نبوئياً كارثياً كرواية (عالم جديد شجاع) والتي تحمل تساؤلاً من الكاتب (ألدوس هكسيلي) عن تحكم التكنولوجيا في البشر. وفي روايته يتصور هكسيلي عالماً تكون الهندسة والتعديل الوراثي فيه أموراً سائدة ويتسم بالتفكك الأسري. ويلقي العلم في رواية هكسيلي بالتعاسة خلف ظهره حيث يصبح التحكم بالأمزجة عبر العقارات أمراً شائعاً. أحداث الرواية جعلت كثيرين ينظرون لها بصفتها رواية نبوئية.

وضمن هذا السياق كثيراً ما يُشار إلى أدب الخيال العلمي في الأحداث المستقبلية والاكتشافات التي يقع عليها العلماء، حيثُ تتجه الأنظار للروايات من هذا النوع بالذات كي ندلل على وجود نبوءة سابقة للحدث الجديد. غير أن روايات الخيال العلمي قد تُلهم البعض لابتكارات جديدة. فمثلًا في

رواية (عشرون ألف فرسخ تحت الماء-) للكاتب الشهير (جول فيرن) والذي يعتبروه الأب الروحي لأدب الخيال العلمي حيث تبنى هذا النوع الأدبي وأعطاه شكلاً حديثاً ومتقناً، وكان يغلب على أعماله المنطق العلمي، نجد البطل الرئيسي كابتن نيمو يخوض مغامراته في أعماق المحيطات مستخدمًا أدوات متقدمة كالغواصات. أحداث الرواية والمعدات التي يستخدمها الأبطال ألهمت المخترع الأميركي (سيمون ليك) وهو مخترع الغواصة، وصرح بأنه يدين فكرة اختراعه للكاتب فيرن وذلك بعدما قرأ روايته. فيما تحقق الخيال الذي تصوره في روايته (من الأرض إلى السماء) الصادرة عام ١٨٦٧ حين هبط نيل ارمسترونغ في القمر عام ١٩٦٩ .

وفي حين تجمع الأكثرية على أن أدب الخيال العلمي ظهرعلى الساحة الأدبية منذ ما يقرب من ٣٠٠ عام تزامناً مع الطفرة التي حدثت في العلوم، و تسارع الاكتشافات العلمية. مما جعل الكتّاب يحاولون استيعاب ذاك التسارع بالكتابة عن عوالم مستقبلية متخيلة بناءً على ما يشهدوه من تطوّر، بقي يعاني لبساً في المفهوم ويتقاطع مع أجناس أدبية أخرى كالفانتازيا والأسطورة والخرافة، ليقف أغلب النقاد محبطين من استخلاص تعريف مفهوم واضح لهذا الأدب. فإن كان هو الأدب الذي يتعامل جزئياً أو كلياً مع موضوعات الغرائب والخوارق والمخاطر، فإن الأولى بنا اعتبار (أوديسة) هوميروس و (ملحمة جلجامش) و (حكايات ألف ليلة وليلة) من أدب الخيال العلمي. وبالتالي يمكننا القول :إن روايات الخيال العلمي قد بدأت منذ بدأ الانسان يعي الوجود وتتفتق مخيلته لمواجهة ظواهر فاقت قدرته على فهمها ومواجهتها. هذا وقد تمّ تحديد أقدم النسخ النصية لملحمة جلجامش لبلاد ما بين النهرين القديمة على أنها تعود لحوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد، وكان مؤلف الخيال العلميي الأميركي ليستر ديل ري أحد المؤيدين لاستخدام جلجامش كنقطة أصل، مجادلاً بأن « الخيال العلمي قديم تماماً مثل أول رواية مسجلة، هذه هي ملحمة جلجامش « وجادل كاتب الخيال العلمي الفرنسي بيير فيرسينز أيضاً بأن جلجامش كان أول عمل خيال علمي نظراً لمعالجته للعقل البشري والسعي وراء الخلود. بالإضافة إلى ذلك يظهر جلجامش مشهداً فيضاناً يشبه في بعض النواحي أعمال الخيال العلمي المروع. إلا أن الافتقار إلى العلوم أو التكنولوجيا الواضحة في العمل أدى بالبعض إلى القول :إنه من الأفضل تصنيفها على أنها أدب رأي .

ومن خلال هذا المنظور يعتبر كتاب ألف ليلة وليلة له قصب السبق في هذا النوع الأدبي، إذ يحتوي على ثيمات تقليدية في روايات ذلك النوع الأدبي مثل الرجال غير المرئيين والسفر عبر الزمن وآلات الطيران الغريبة وحتى السفر بين النجوم والكواكب . وكثير من القصص التي وردت في الكتاب تحمل طابع الخيال العلمي، ومن أمثلة ذلك قصة علاء الدين الذي يطوف العالم فوق البساط السحري، وكذلك القصة التي جاءت تحت عنوان :(حكاية بلوقيا) التي تروي قصة أحد الفتيان الساعين وراء عشبة الخلود (هاجس جلجامش) وفي سبيل العثور عليها يطوف الكون ويمر بمجتمعات عديدة بل ويصعد إلى الفضاء، فالقصة تتضمن تصورات عن المجرات والكواكب والنجوم وغيرها، هذا بجانب قدر لا بأس به من الفانتازيا والخيال، إذ أن أغلب القصص تظهر خلالها بعض الظواهر الغريبة، مثل تناسخ الأرواح أو الأشجار والحيوانات الناطقة.

وبالعودة إلى جون فيرن الأشهر لدينا بين أدباء هذا النوع الأدبي، حيث تعتبر كتبه هي الأشهر بالتنبؤات، لنقرأ ما تنبأه لمستقبلنا. في عام ١٨٦٣ كتب فيرن روايته (باريس في القرن العشرين) تضمنت توقعاته لباريس في عام ١٩٦٠، ولكن رفضها الناشر لسوداويتها، الأمر الذي سينعكس على نسبة مبيعاتها . وفي عام ١٩٨٩ تم العثور عليها من قبل أحد أحفاده وتم نشرها في عام ١٩٩٤ وحققت أعلى المبيعات في فرنسا. يتوقع فيها فيرن الكهرباء والسيارات ذات محرك الاحتراق الداخلي وقطارات الانفاق ومراقبة السلطات للمواطن بالتكنولوجيا وحتى المصاعد والكمبيوتر والانترنيت. وبالمقابل توقع أن ينحصر اهتمام البشر بالمال والتكنولوجيا بشكل مقرف وإهمال الثقافة التام واحتقار العالم للمفكرين والمثقفين. ولكن بالتأكيد كان لوضع فيرن حينها تأثيره على اصدار هذه التوقعات السوداوية. ففي الوقت الذي كانت فيه رواياته تحقق الشهرة الواسعة وحصوله على وسامين من السلطات حينها، إلا أن المجتمع والأوساط الأدبية لم تعتبره بمستوى كبار الأدباء مثل فيكتور هيغو، ولا سيما أنه فشل في أن يصبح عضواً في الأكاديمية الفرنسية التي كانت تضم خيرة أدباء وعلماء فرنسا.

وفي أعقاب هذا الاستعراض لأدب الخيال العلمي نتسائل: هل نتفق مع كاتب الخيال العلمي البريطاني آرثر سي كلارك صاحب فكرة أقمار الاتصالات الصناعية في قوله : «القراءة النقدية لأدب الخيال العلمي، هي بمثابة تدريب أساسي لمن يتطلع إلى الأمام أكثر من عشر سنوات.»؟؟ وفي الماضي كان الناس يقرؤون الخيال العلمي كوسيلة الترفيه والتسلية، ثم استعمله لتخطيط المستقبل، لكن الآن أصبح من أهم الوسائل التربوية والتعليمية الحديثة كما أنه من أهم الأسباب الضرورية للإبداع والاختراع والابتكار والفكر، لغرس حبّ العلم وإعداد العلماء والمبدعين والمبتكرين والمفكرين، وليستعد الجيل الجديد لمواجهة صدمات وتحديات الحاضر والمستقبل. ويمكن أن يقال بأن أدب الخيال العلمي ضرورة اليوم بلا خلاف حتماً.

من رواد الخيال العلمي.. نهاد شريف

وفاء يونس

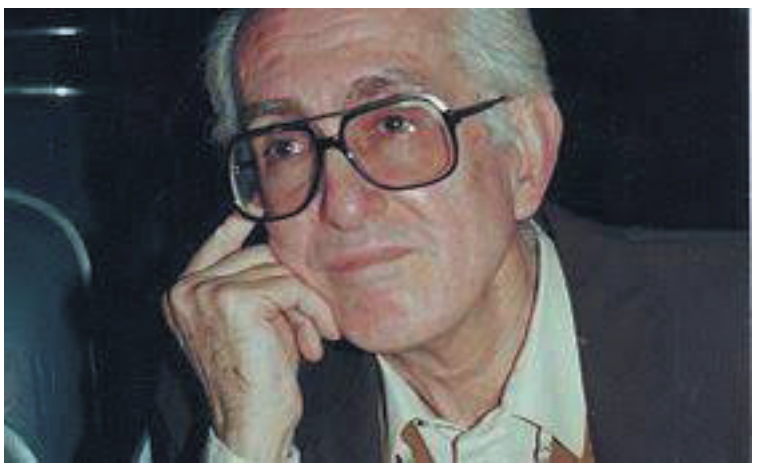

ولد نهاد منير إبراهيم شريف في حي محرم بك بمدينة الإسكندرية، وكان والده فناناً تشكيلياً، وكان يصطحبه معه إلى صالونات الثقافة ليجالس كبار الكتاب والفنانين فأحب الأدب منذ طفولته.. كما أحب العلوم وتمنى دراسة الطب منذ صغره بيد أنّه أصيب بمرض الالتهاب الرئوي أثناء دراسته الثانوية، واضطر إلى البقاء بالمنزل والتوقف عن الدراسة لمدة عام كامل مما منعه من تحقيق حلمه بدخول كلية الطب، فدخل كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخصص في التاريخ.

مسيرته المهنية

عمل نهاد شريف عقب تخرجه من الجامعة بمجال الصحافة كمحرر علمي بالعديد من الصحف والمجلات المصرية كان آخرها مجلة آخر ساعة التي عمل بها عامي ١٩٩٥ و ١٩٩٦، كما عمل موجهاً ثقافياً ثم مديراً لقسم الثقافة والإرشاد بمشروع مديرية التحرير قبل أن يبدأ نشاطه الأدبي بنشر روايته قاهر الزمن والتي فازت بالجائزة الأولى في نادي القصة وحُوّلت بعد ذلك إلى فيلم قاهر الزمن من بطولة نور الشريف و آثار الحكيم و جميل راتب و حسين الشربيني.

حصل نهاد شريف على العديد من الجوائز في القصة والرواية لمجهوده في أدب الخيال العلمي.

كتب نهاد شريف العديد من المؤلفات، والتي تنوعت ما بين الروايات والمسرحيات والمجموعات القصصية، والتي تنتمي في معظمها إلى أدب الخيال العلمي، وقد تُرجم بعضها إلى لغات أخرى من بينها الإنجليزية والفرنسية، وفيما يلي عدد من أهم

مؤلفاته:

قاهر الزمن (رواية): صدرت عام ١٩٧٢ عن دار الهلال للطباعة والنشر والتوزيع بالقاهرة، وتقع الرواية ٢٨٨ صفحة، وقد حوُلت في عام ١٩٨٧ إلى فيلم سينمائي أخرجه كمال الشيخ وقام ببطولته نور الشريف.

رقم ٤ يأمركم (رواية): صدرت عام ١٩٧٤، وتقع الرواية في ١٤٤ صفحة.

سكان العالم الثاني (رواية): صدرت عام ١٩٧٧.

الماسات الزيتونية (رواية): صدرت عام ١٩٧٩ عن دار المعارف للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة.

الذي تحدى الإعصار (رواية): صدرت عام ١٩٨١ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة أنا... وكائنات الفضاء (رواية): صدرت عام ١٩٨٣ عن دار أخبار اليوم للطبع والنشر والتوزيع بالقاهرة ضمن إصدارات كتاب اليوم.

الشيء (رواية): صدرت عام ١٩٨٩ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

أحزان السيد مكرر (مسرحية): صدرت عام ١٩٩٠ عن الهيئة المصرية العامة للكتاب بالقاهرة.

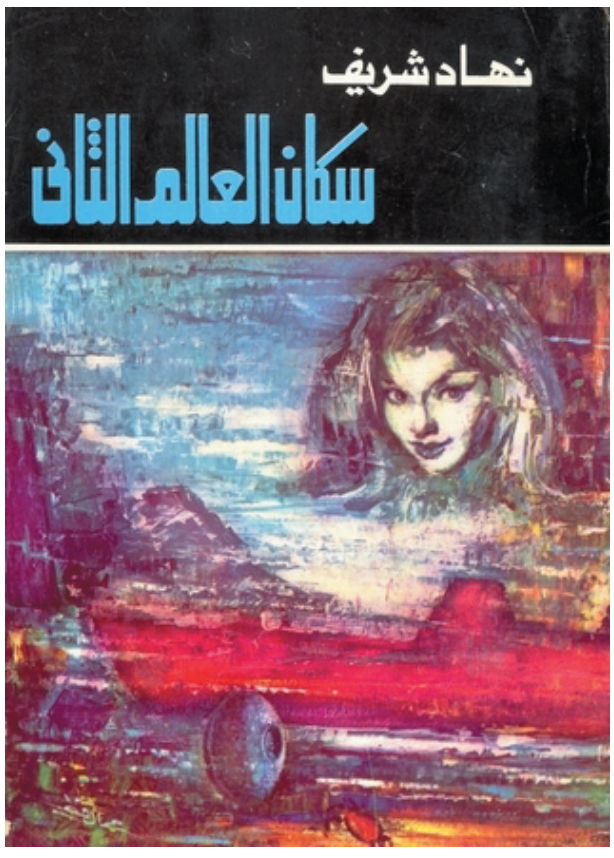

بالإجماع

النهر (رواية)

تحت المجهر (رواية): صدرت عام ٢٠٠٦ عن مركز الحضارة العربية للترجمة والنشر والتوزيع بالقاهرة

شهادات

نهاد شريف.. الروائي الذي منعه مرضه من دراسة الطب فتحول لعميد أدب الخيال العلمي

تحت العنوان السابق تكتب أميرة فكري في موقع البوابة قائلة عنه :

«الخيال العلمي هو الانتقال في آفاق الزمن، على أجنحة الحلم المطعم بالمكتسبات العلمية، وغالباً ما يطرق مؤلفو قصص الخيال العلمي أبواب المستقبل بتنبؤاتهم من دون زمن محدد، وفي قصص الخيال العلمي نظرة واسعة إلى العالم يدخل فيها العلم فيمتزج بحقائقه مع خيال الكاتب، وترسم أحداث تنقل القارئ إلى المستقبل، أو الماضي السحيق، فتثيره وتذهله».

ويعد الأديب والكاتب الدكتور نهاد شريف، الأب الروحى لأدب الخيال العلمى فى مصر، وصاحب المكانة الأدبية الرفيعة باعتباره رائد أدب الخيال العلمي في مصر والوطن العربى، صاحب الرواية الشهيرة «قاهر الزمن» الذي يعد الأول في مجال الخيال العلمي في تاريخ السينما العربية، يتزامن اليوم ذكرى رحيله لعام ٢٠١١م،عن عمر يناهز الـ ٧٩عاماً، رحل أدب الخيال العلمي مع رحيل نهاد شريف.

ولد الروائي المصري نهاد شريف فى حي محرم بك بمدينة الأسكندرية، وكان والده فناناً تشكيلياً، وكان يصطحبه معه إلى صالونات الثقافة ليجالس كبار الكتاب والفنانين فأحب الأدب منذ طفولته،كما أحب العلوم وتمنى دراسة الطب منذ صغره بيد أنه أصيب بمرض الالتهاب الرئوي أثناء دراسته الثانوية، واضطر إلى البقاء بالمنزل والتوقف عن الدراسة لمدة عام كامل مما منعه من تحقيق حلمه بدخول كلية الطب، فدخل كلية الآداب بجامعة القاهرة، وتخصص في التاريخ.

وعمل شريف عقب تخرجه من الجامعة بمجال الصحافة كمحرر علمي بالعديد من الصحف والمجلات المصرية كان آخرها مجلة آخر ساعة التي عمل بها في الفترة بين (١٩٩٦:١٩٩٥)، كما عمل موجهاً ثقافياً ثم مديراً لقسم الثقافة والإرشاد بمشروع مديرية التحرير قبل أن يبدأ نشاطه الأدبي بنشر روايته قاهر الزمن والتي فازت بالجائزة الأولى في نادي القصة وحُوّلت بعد ذلك إلى فيلم قاهر الزمن من بطولة نور الشريف و آثار الحكيم و جميل راتب وحسين الشربيني.

وكان شريف شديد التأثر بالكاتبين الإنجليزي هربرت جورج ويلز، الفرنسي جول فيرن، الذين اعتبرهما الرواد الأصليين لأدب الخيال العلمي.

كما ألّف شريف العديد من المؤلفات، والتي تنوعت ما بين الروايات والمسرحيات والمجموعات القصصية، والتي تنتمي في معظمها إلى أدب الخيال العلمي، وقد تُرجم بعضها إلى لغات أخرى من بينها الإنجليزية والفرنسية، ومن أهم مؤلفاته:(رقم ٤ يأمركم ، وسكان العالم الثاني، الذي تحدى الإعصار، أنا... وكائنات الفضاء، الشيء) ، ومسرحيته الشهيرة «أحزان السيد مكرر»، كما تحولت قصته «الماسات الزيتونية إلى سهرة تليفزيونية درامية، وبإضافة إلى ترجمة كتاب (سينما الخيال العلمي) وثلاثة كتب تضم دراسات وتأملات هي: (توماس اديسون) و(تأملات في العلم والثقافة) و(الدور الحيوي لأدب الخيال العلمي في ثقافتنا العلمية).

وحظي شريف بتكريم العديد من الجهات المصرية والعربية، وحصل على عدة جوائز أدبية من أهمها: الجائزة الأولى بمسابقة الرواية التي نظمها نادي القصة عن روايته «قاهر الزمن»، ودرع جامعة عين شمس عام ١٩٩٨، ودرع مهرجان الرواد العرب الأول، والذي أُقيم برعاية جامعة الدول العربية في عام ١٩٩٩.

جذور

المفكر السوري «لوقيان السميساطي».. مبتكر الخيال العلمي

ففي البحث عن الجذور يبدو أننا لسنا مطلعين بما فيه الكفاية على تراثنا وارثنا السوري الحقيقي وما قدمناه للحضارة العلمية والثقافية، ونحن اليوم نفتح ملف أدب الخيال العلمي نقدم قراءة في جذوره الاولى وقد كتبت عشرات الدراسات حول ذلك، منها الدراسة المهمة التي كتبها همام سراج ونشرتها الكثير من المواقع الالكترونية لما فيها من المعلومات والتأصيل لجذور أدب الخيال العلمي، يكتب همام سراج قائلاً :

«الجرأة هي أفضل قناع للإحباط».. تعبر هذه المقولة عن جانب من شخصية صاحبها، أحد المفكرين الأوائل ممن لم تعرف كتاباتهم وأفكارهم المحاباة أو المواربة.. فيلسوف سوري انتقد الفلاسفة أنفسهم وتجرّأ في طرح المحظور، فسطع نجمه في أوروبا وأفل في بلاده، وتجاهلته الأجيال اللاحقة.

لوقيان السميساطي (١٢٠/١٢٥م- ١٨٥م) أو «لوقيانوس السوري» كما أحبّ أن يلقب نفسه في أحد أشهر كتبه «الآلهة السورية» الذي يعد واحداً من أهم المراجع عن تراث سورية وثقافة شعبها.. وربما عبّر عن ذلك كمتمرّد متشبّث بهويته السورية في وجه عنصرية الثقافة الهلنستية (الرومانية- اليونانية) التي سادت سورية في ذلك الوقت.

عاصر لوقيانوس الذي برز أثره واضحاً في القارة الأوروبية، ثلاثة من أباطرة الرومان، هارديان، أنطونيوس بيوس، وماركوس أوريليوس، وعرفت هذه الفترة بالذهبية في تاريخ الإمبراطورية الرومانية، على صعيد الحركة الأدبية والثقافية التي ينتمي إليها لوقيانوس، وينظر إلى تلك الفترة كإحدى ركائز الحضارة الغربية الحديثة.

سنقرأ اسم لوقيانوس عند البحث عن تاريخ الأدب الساخر كأحد أوائل مبتكري ذلك الأسلوب، وسنجده أول من كتب قصص

الخيال العلمي من خلال رواية اكتسبت شهرة عالمية وترجمت باسم «True Story»، صور فيها لوقيانوس رحلة إلى القمر، وأجواء الحرب بين كواكب الفضاء ومخلوقاته الغريبة.

ينسب إلى لوقيانوس ٨٢ مؤلفاً، منها ما هو مثبت ومنها ما يشك في صحة نسبته إليه، وأبرز ما ترجم منها إلى العربية كتاب «مسامرات الأموات»، حيث يهبط لوقيانوس في حوارت متخيلة بين الآلهة والملوك والفلاسفة وشخصيات بارزة، إلى عالم الموت. تأخذ محاوراته بعداً كوميدياً تشبه ما قدمه بعد قرون أبي العلاء المعري في «رسالة الغفران»، وما قدمه دانتي في «الكوميديا الإلهية»، إضافة إلى كتاب «أعمال لوقيانوس السميساطي المفكر السوري الساخر» وفيه مختارات من أعماله، وكتاب «محاورات لوقيانوس السميساطي».

توصف محاوراته بأنها هجائية وقصيرة وفيها الكثير من الجد والسخرية، ودائماً ما تضمر نية أخلاقية وفلسفية، وجعل في بعضها من الآلهة أبطال الحوارات.

ينحدر لوقيانوس من مدينة سميساط التاريخية الواقعة حالياً جنوبي تركيا وشمال مدينة منبج السورية على الطرف الآخر من الحدود بين البلدين.. وفي ذلك الحين، كانت سميساط تتبع لأراضي «الدولة السورية» التي كانت خاضعة

لحكم السلوقيين بعد وفاة الإسكندر المقدوني.

لوقيانوس.. من السفسطة إلى الفلسفة

ما امتلكه لوقيانوس قبل اكتسابه الشهرة الواسعة، من بلاغة خطابية وقدرة على التأثير في الجموع، جعلت منه مفوّهاً استثنائياً، في وقت انتعشت فيه مهنة الخطابة أو السفسطة، فكان كغيره من الخطباء محامياً ومرافعاً عن العملاء في محكمة أنطاكية، ثم سفسطائياً وكاتباً متنقلاً بين أيونيا (قرب إزمير التركية)، وأثينا اليونانية، وبلاد الغال (فرنسا)، وروما التي تحددها المراجع التاريخية عن لوقيان، بأنها محطته الأولى نحو الفلسفة

بعد أن تخلى عن السفسطة في الأربعين من عمره.. وكتب مؤلفاته باللغة اليونانية القديمة علماً أن لغة المخاطبة في سورية آنذاك كانت السريانية.

ومن باب نقد المشكلات الأخلاقية والتشهير بالعيوب الشائعة، بغلاف السخرية القريبة من الكوميديا، عُرف لوقيانوس.. وما ميّزه هنا، صعوبة تصنيف أفكاره ضمنَ اتجاه فلسفي ما، وهو الذي طالت سهام نقده وسخريته الفلاسفة أنفسهم وخاصة الأفلاطونيين والرواقيين الذين اعتبرهم مشجعين على الخرافة..بينما ذهبت بعض الدراسات إلى جعله قريباً من المدرسة الأبيقورية باعتباره ميالاً لعدم الاعتراف بوجود آلهة، وتهكمه المستمر على الخرافات والأساطير.

عن هذه الجزئية، يحدثنا الباحث في الفلسفة المعاصرة والأستاذ في جامعة «السوربون» بباريس الدكتور خلدون النبواني، الذي يرى أن صعوبة تصنيف لوقيان «تتأتى من كونه تناول قضايا فلسفية بأسلوب أدبي خالص، لكنه لم يقدم أفكاراً جديدة في الفلسفة، إلا أنه برع في ميدان البلاغة نقيض الفلسفة التي أسسها أفلاطون، فهو إذن كاتب ساخر ولاذع في نقد مقاسات عصره، ولهذا يعتبر -نوعاً ما- المؤسس لهذا النوع من الأدب الفلسفي».

ويستدرك النبواني حديثه بالقول: «لا يجب المبالغة في مكانة لوقيان الفلسفية، فهي تظل متواضعة أمام إبداعه الأدبي البلاغي وجرأته وأسلوبه، وأنه لا يخرج عن تيار البلاغة المزدهرة في عصره، متميزاً بأسلوبه الأدبي».

أما الروائي والمؤرخ السوري خيري الذهبي، فيعتبر أن «أكثر المستفيدين من الحضارة الهلنستية في أراضي سورية القديمة (الكبرى)، هم الفلاسفة والفنانون، واستطاع لوقيان أن يتحول إلى فيلسوف وكاتب روائي نجم في ذلك العالم وتلك البقع من الأرض.. كانت كتبه تنتقل مثل الريح عبر تلك البلاد، وأفكاره تتردد وقصصه تتناقل حتى دون ذكر اسمه.. نوادر وخرافات وقصائد وأساطير نسجتها مخيلة الروائي لوقيان، وعبّأها بفلسفته التي سخرت بادئ ذي بدء من الأديان والآلهة، وعجزها عن مساعدة الإنسان وإنقاذه من بؤس معيشته وقسوة مصيره».

لوقيانوس.. وأدباء النهضة الأوروبية

، يتتبع «ديفيد مارش» كيف استحوذت مواضيع لوقيان وكتاباته على الخيال الأدبي مع بداية عصر النهضة في أوروبا، خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر، ويبرز فولتير كأحد أدباء عصر النهضة الكبار المتأثرين بفكر لوقيان، ويضاف إلى القائمة وفق العديد من الدراسات كل من مايكل أنجلو وشكسبير ودانتي وغيرهم.

النبواني خصّص فولتير كأحد أبرز المتأثرين بفكر لوقيان، أما عن انعدام أثر الأخير في حضارات بلاده اللاحقة، فذلك يتأتى من «أن كتابة لوقيان باللغة اللاتينية اليونانية، جعلت منه كاتباً يونانياً، ولم يكن هناك حاضنة فعلية له في سورية لهذا استمر أثره ضمن الإرث اليوناني الروماني دون السوري، السرياني ومن بعده العربي».

بينما يقدم الذهبي وجهة نظر إضافية في أسباب انقطاع سيرة لوقيان في الشرق الأوسط المنتمي إليه، إذ يرى أن «لوقيان كان حاداً صارماً في نقده وسخريته من الأديان والآلهة المتعددة والتماثيل والقرابين وحتى من السياسيين، فتولّدت ضده عداوات كبيرة من الكهنوت والساسة الذين استشعروا فيه خطراً على سكونية عوالمهم».

يضيف الذهبي أن كتاب النهضة في أوروبا عملوا على «إعادة اكتشاف الكتاب والفلاسفة والمسرحيين في حركة ثقافية امتدت من شمال القارة الأوروبية وحتى جنوبها، وكان مركزها فرنسا.. وهناك في باريس تأثر فولتير بالطبع بما اكتشفه وقرأه من كتب مذهلة لـ لوقيان، وتجلى هذا التأثير في أعمال فولتير الكثيرة التي تنتقد الكنيسة، وفي أعماله التي تستكشف اليونان وشخوصها الأسطورية مثل أوديب والكترا».

بينما يجد الكاتب والباحث «تيسير خلف» أن سر هذا التأثير المتباين يكمن في أن «الغرب يعتبر نفسه وريث الحضارة اليونانية، كما أن لوقيان يعد جزءاً أساسياً من الأدب اليوناني».

ولا يعتقد خلف أن يكون العرب قد تأثروا بفكر لوقيان بسبب أن أعماله لم تترجم قبل القرن التاسع عشر، ولكون الرجل كان «مندمجاً في الحضارة الهلنستية التي كانت مسيطرة في تلك الفترة».

التطور الرقمي.. هل يغير السرد الأدبي؟

لينا ديوب

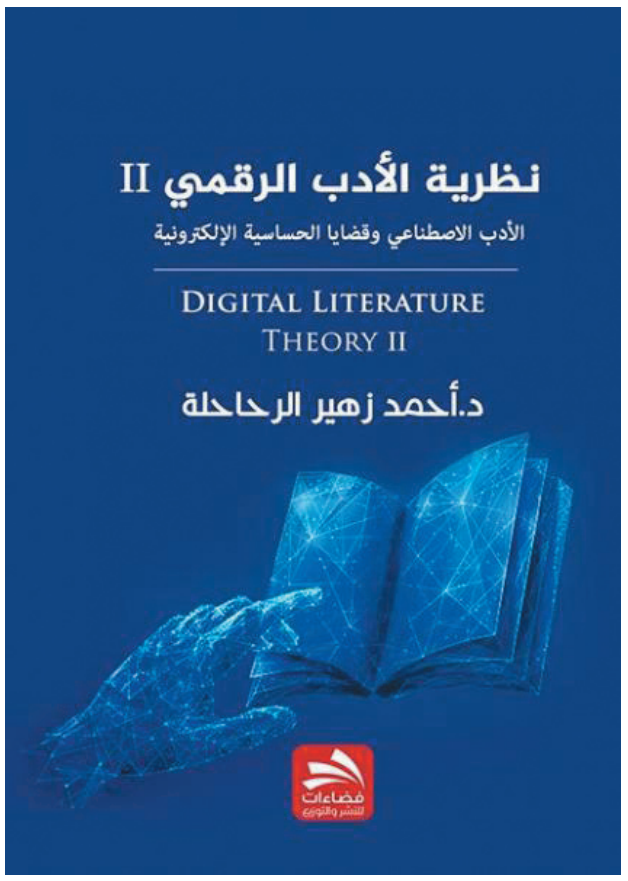

يغيب الورق يوماً بعد آخر عن عالم الصحافة، ليحل محله الصحافة الإلكترونية، التي فرضت على السرد الصحفي شروطاً وخصائص جديدة، تقتضي استخدام الوسائط الرقمية لتكون ملائمة للنشر الإلكتروني، وأصبحت الصورة والصوت والخريطة والفيديو والفونوغراف وغيرها، شرطاً لاكتمال السرد الصحفي.

في الأدب لا ندري مع انتشار القراءة عبر الشاشة الزرقاء، سواء للشعر أم القصة والرواية، هل سيصبح السرد رقمياً وله شرط استخدام الوسائط الرقمية؟ نصبح أمام أدب كما الصحافة يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الأدبية والإلكترونية؟ أم سيصبح للمدونين الجمهور الأوسع بما يقدمونه من نصوص قصيرة سريعة تناسب عصر التصفح؟

انتشر مصطلح الأدب الرقمي بشكل واسع في ثمانينيات القرن الماضي، وإن كان يقصد به حينها أدب الصورة، وأدب الشاشة، إلا أننا هنا نسأل عن أدب يوظف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد يجمع بين الكتابة الأدبية والإلكترونية ولا يكتمل لمتلقيه إلا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء وبحضور الوسائط بقوة في النص الرقمي، باعتبارها عناصر مؤسسة لا يتحقق النص الرقمي إلا بوجودها، هنا يصبح الأديب هو المبرمج والمصمم والمصور وفني الصوتيات والمخرج النهائي للعمل، أي إن الكاتب هو أديب ومخرج ومبرمج ومصور، ويمتلك حقولاً فنية أخرى غير اللغة وبناء النص، وتصبح اللغة السردية عنصراً من بين عناصر لغوية جديدة دخل إليها لغة البرمجة المعلوماتية، ويصبح النص مجرد عنصر من بين عناصر لغوية جديدة، وسائط لغوية وغير لغوية، رمزية، وإشارية، ووسائط تكنولوجيا حديثة لم تكن معهودة.

ربما يبدو مبكراً الحديث عن نصوص أدبية إلكترونية ليس في سورية فقط وإنما في الأدب العربي عموماً، رغم الحديث عن الأدب التفاعلي، والأدب الرقمي، فقد كتبت الأستاذة الجامعية الإماراتية فاطمة البريكي كتاباً بعنوان المدخل إلى الأدب التفاعلي يتناول هذا الموضوع الجديد أي موضوع الوسائل الحديثة في الكتابة واستفادة الأدب من المعطيات التكنولوجية وثورة المعلومات المعاصرة وانعكاسات ذلك على عمليات التلقي على غرار ما حصل من تفاعل وتمازج بين النظريات الأدبية والنقدية سابقاً والعلوم والنظريات الأخرى وفي مقدمتها علم الاجتماع وعلم النفس وعلم اللغة والنظرية الماركسية، كما ورد في مقالة صحفية تضيء على محتوى الكتاب (حيث حاولت الباحثة في مقدمتها أن تصحح النظرة الشائعة التي لا ترى أي علاقة بين الأدب والتطور التكنولوجي نظراً لاختلاف طبيعة كل منهما، فالأدب في ضوء التطور التكنولوجي الكبير وظهور شبكة الإنترنت استطاع أن يستفيد من هذا التطور وأن يتأثر به تأثراً بالغاً بسبب كون الأدب لصيقاً باليومي وغير منفصل عنه)، كما تحدثت الباحثة عن تغير تلقي الأدب بعد أن تصبح النصوص تجمع بين فنية الأدب وعلمية التكنولوجيا.

إذا كان النص الأدبي الورقي يكتسب أهميته عند القارئ وسلطته من قدرته على تحريك الخيال، فما الحال مع النص الرقمي؟ هل سيحرك النص الرقمي الخيال مع كثرة الوسائط؟ تقول الروائية والباحثة المغربية زهور كرام في كتابها الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية: «ننطلق من اقتناع إبداعي أكدته مختلف التجارب التنظيرية للعملية الإبداعية، وهي إما أن يكون النص التخييلي إبداعاً وإما أن يكون شيئاً آخر غير الإبداع، وعندما يكون هناك افتعال للحظة الإبداعية فإن النقد لا يجيز مثل هذه التجارب لكونها لا تملك الشرعية في تطوير الأدب والإبداع، وفي إنتاج المعرفة من الإبداع. ما يحدث مع النص الرقمي في علاقته بالتكنولوجيا شبيه مع فارق تقني ما حدث/ يحدث مع التجريب في الرواية. إن من فهم التجريب على أساس أنه مجرد لعبة التكسير للحكاية، واللعب بالزمن والفضاء والشخصية فقد أنتج نصوصاً أشعرت النقد بأنها مفتعلة للحظتها الإبداعية، ومن ثم لمنطق التخييل. وبالتالي، فهي نصوص تمرر مفاهيم خاطئة حول التجريب الذي يعني رؤية وتصوراً للذات والعالم من خلال طريقة معينة في الحكي والسرد وبناء النص».

حتى اللحظة لا يمكننا التوسع بالحديث عن الأدب الرقمي في بلادنا، لأنه لم ينتشر لدينا نص رقمي متضمن للوسائط الرقمية، حتى القاصون والروائيون والشعراء الشباب لم ينتجوا نصوصاً رقمية مستفيدين من مختلف الوسائط من صوت وصورة وغيرها، نقول الشباب لأنهم الأكثر قرباً من التكنولوجيا الحديثة والأكثر تقرباً لها واستخداماً لها، وبالتالي هم من يكون السباق لإنتاج النص الرقمي.

لا يمكننا تجاهل الكثير من الأسئلة حول الأدب بالعصر الرقمي، أسئلة مرتبطة بالعلاقة بين المتخيّل والواقعي والافتراضي، ومرتبطة أيضاً بالحدود بين الأدب والواقع، وبين الأديب وتعدد الأساليب، والعلاقة التي تربط بين صاحب النص والمتلقي الذي بات طرفاً وفاعلاً داخل عملية الإبداع. وهذا ما يدفعنا إلى التساؤل عن شخصية المؤلف في ظل كل هذا التغير، وعن معنى القراءة في العصر الرقمي؟ هل بقيت المكتبة الكلاسيكية وجهة القارئ أم اتجه إلى المكتبات الرقمية على شبكة الإنترنت، لما تتيحه من إمكانية الدخول السريع والوصول بكبسة زر إلى كتب كان من الصعب العثور عليها.

مع الإنترنت انتشر لدينا نوع جديد من الكتاب، يسمون أنفسهم المدونين، ربما يناسبون القارئ الجديد الذي لا يملك المزيد من الوقت، الذي ربما أصبح أكثر طلباً للسرعة في التلقي والقراءة والوصول إلى المعلومة، لكن لاتزال الكتب الورقية تطبع، ولم تزل حفلات توقيع الروايات تقام، وما زلنا نجد في البيوت مكتبات، ونلتقي بمجموعات شبابية تشتري الروايات وتناقشها مع كاتبها.

يستريح الغروبُ على شفتي

د. سلمى جميل حداد

يتفقّد صلتي بمكاني والزمان،
باردة أنا كنافذة خريف تطل على الصمت،
كسطور شاغرات من لهفة اللقاء،
ألف لغة ولغة لا تكتب قصيدة
بامرأة لم تكمل جملةً في الحب.
كرغيف يابس مسحتُ انتظاراتي
وتفرّعتُ من حروفي الساكنات
طريقاً لم تنتعله خطاي
واعتنقتُ التردد والخوف في غفلة من الغياب.
على حين خريفٍ تنفستُ الجدران
وغفوتُ كمجلّدٍ في مفاصل رطوبتها
وأكملتُ المنفى
فارغةً من صوتي ومن طيف الكلمات
قريبة كشامة..
بعيدة كغربة..
متمردة كفوضى..
خانعة كخيبة.
المطر يتأنّى..
يأخذ وقته في البكاء كحزني
ولأننا لا نشبه أحداً
أدسُ في جيبه دمعي وأنتظر الهطول.

صديقِي الذيْ جمَعَ السَّرابَ

فوزي الشنيور

كنّا . معاً . صديقين
يضعُ يدَهُ في يديْ
وننظرُ بعينٍ واحدةٍ
من أنحاءٍ صافيةٍ
ولكنْ فجأةً
وجدتُ يديْ فارغةً
لم أعثرْ عليهِ
مضَى باتجاهٍ آخرَ
ومضيتُ في وسَطِ الضوءِ
وعندَما أستريحُ أجلسُ على مقعدٍ
لا أبدّلُهُ في المرّةِ القادمةِ
لقد كانَ هذا المقعدُ
من المقاعدِ التي يصْنعُهُ الجالسُ بنفسِهِ
في الأماكنِ والمرافقِ العامّة

×××××

صديقي الذي اختارَ الراكضيْنَ
كنتُ أراهُ
يركضُ معهَمْ
لقد ظنّ أنّهُ سيأخذُ أكثرَ من حصّته
ولكنَ الدنيا لا تعطيهِ إلا ما كانَ لهُ
حتّى لو كانتْ مشيْتُهُ سريْعةً جدّاً
ذلك الصديقُ
لم يُدْركْ أنّ الأرنبَ لا يمكنُهُ
أن يَسْبُقَ السلحفاةَ إلى حصّتِها التي
تنتظرُهَا
من الدُنيا

×××××

لقد قالوا إنّ صديقي الذي كانَ
يُبدّلُ مقعدَهُ
عادَ الآنَ
ولكنْ لا يحْملُ معَه إلا السّرابْ

×××××

وأنا أتوكّأُ على عكّازتيْ
توهّمْتُ أنّ هناكَ عكّازةً قادمةً
تشبهُ عكّازتيْ تماماً
وضعَ صاحبُها يدَهُ في يديْ
شعرتُ بحرارةِ صديقيَ القديمِ
قلتُ لهُ :
لا تترُكُ يديْ فارغةً مرّةً أخْرى
قالَ : لن أكرّرَهَا
نهضْنَا
ولكنْ لم أستطعْ أنْ أمضيَ
لأنني استيقظْتُ
على جرسِ البيتِ
وهو يَصْرخُ برنّاتِهِ المْتواصِلة

سافر.. لا تسافر

د. سلوى الحلو

احمل حقيبتك ولا تسافر ؟؟؟
ورتب همساتك ودونها في أبواب
وفصول الفن الساحر ؟؟
قف عند جيب ذاكرتك ياسيدي
؟؟؟ وامهلها لحظة كي تستعيدني
؟؟؟ فتعود سريعاً من دربك مصمماً
لاحائر ....
أتسافر وأنت هنا الجذر الذي نما ..
أتسافر وأنت الشجر الذي علا ..؟
أتسافر وأنت الدم الذي الأرض روى
..؟
أتسافر وفي عينيك بحار الكون تموج
..
كيف تسافر وأنا شطك وميناء العمر
..
هنا أنت باق في الغيم في المطر..
في كل ألوان الثمر..
هنا أنت نغم القيثارة والسحر..
يا رفيق الوطن ..ياهمس الدرب ..
سافر..تغرب ..فالمعاد مع الفجر
مع رفة النور وقد أنبلج ..
لا تسافر ..سافر..
بحارك أنا .لجة أعماقك أنا ..
صوتك أنا ..سافر وابق في عيون
الأرض شوق الأرض للمطر